

السنة السادسة

الجزء ٥

المعنا

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك

ونشر للشرق مدينة الغرب وللغرب مدينة الشرق

نيويورك حزيران — (يونيو) سنة ١٩٠٨ — جمادى سنة ١٣٢٦

كلام لابن الشرق في الغرب

الآن بدأت أحب أميركا

مثال من مدينة اميركية

مقالة مكتوبة فيها

نعم هذه اول مرة شعرتُ بها بجبل الى اميركا والمدينة الاميركية . ولم يهبط على نفسي هذا الميل وحيًا من السماء ولا اندفعتُ اليه اندفاعاً بفاعل العواطف التي يكون حكمها في اكثر الاحيان حكماً (سطحياً) ولا انا اكتب هذا الكلام تزلفاً الى الاميركيين الذين يقرؤون الجامعة في اميركا وسوريا ومصر — اذ بين قرائها في نيويورك نفر من المستشرقين الاميركيين الافاضل تشرفت الجامعة بان تعرفت اليهم — ولكنني اكتبه بعد درسي اميركا سنتين وكال درسي لها بدخولي في داخلتها ومراقبة احوال الشعب الاميركي فيها

واول ما هبط على نفسي هذا الميل كان في البلدة التي اكتب منها هذه السطور وهي ولیمنتیک في طرف ولاية کناٹکت الشرقي مما يلي ولاية رودايلند . فقد صرفتُ فيها يومين احدهما يوم أحد وفي هذين اليومين بدأت أشعر بذلك الميل . على انه والحق يقال قد ابتدا في نيوهافن ولكني لم أحس به احساساً كاملاً الا في ولیمنتیک

ومن حسن الحظ ان زيارتي للداخلية في هذا الشهر (١) كانت في مفترق الطريق أي بعد نشر المجلة المقالة السابقة في هذا الموضوع وخاتمتها مسألة يتوقف عليها الحكم في المدينة الاميركية ومنزلتها ومصيرها لا يمكن الحكم في حقيقتها الحاضرة . وهي هذه كما وعنتها الذاكرة اذ ليس لدي الآن نسخة من ذلك الجزء (هل الطريق التي سلكتها المدينة الاميركية تؤدى بها الى الافاق العليا التي تعيش فيها الامم العليا وتصبح امة عقلية علمية فلسفية اجتماعية كما هي امة تجارية صناعية زراعية بل أعظم الامم في هذا الامر المادي . أم تبقى كما هي بلاداً مادية كبرى ويبقى فيها الفن والعلم وجميع آثار العقل والنفس في طفوليتها كما هي الآن ؟)

سألت هذا السؤال قبل خروجي من نيويورك ومشاهدة آثار المدينة الاميركية في الداخلية . على انني الآن بعد تجوالي في ولاية كاملة انظر الى هذا الموضوع من وجه آخر لعله يمكنني الجواب عن تلك المسألة جواباً صحيحاً مبنيّاً على البرهان اليقين لا على الظن والتخمين

(١) يعلم قراء الجامعة « الجريدة » انني دخلتُ في هذا الشهر داخلية الولايات المتحدة لصر في شهر في بعض ولاياتها وقبلة رحلتي كندا حيث امتزج الشمدن الانكليزي والفرنسوي والاميركي امتزاجاً لا شبيه له في الدنيا كلها

نتيجة عمل امة

واول ما يتبادر الى الذهن ان النتيجة التي حصلت عليها اميركا في هذه
 المدة القصيرة نتيجة عظيمة جدية بلعجاب كل مفكر منصف . فتجارتها وصناعاتها
 وزراعتها اعظم تجارة وصناعة وزراعة في الدنيا واذا كانت عديمة الاتقان الذي
 يكون للصنائع الاوروبية فلها عذر مقبول وهو انها لم تبدي الا منذ اكثر من
 قرن والصنائع الاوروبية نتيجة اتقان قرون عديدة . وأهلها اغنيا . يكسب الواحد
 منهم في عامه ما يكسبه امثاله في غيرها في عدة اعوام . فان اجرة العامل الذي
 يعزق الثلج من شوارع نيويورك في زمن الشتاء ريالان في النهار وثلاثة أو
 أربعة في الليل واجرة مثله في اوربا ٤٠ سنتاً أو أقل من نصف ريال وفي
 مصر وسوريا يشتغل العامل بربع ريال . وفي اميركا يتمتع الانسان بما يكسبه
 لان كسبه مضمون لديه وذلك لكثرة الاعمال فيها وسعة البلاد وغناها واذا
 اقتصد فانه يقتصد اموالاً طائلة في مدة قصيرة . اما ابنا اوربا والشرق فلا يقتصدون
 ما يقتصدونه الا بشق النفس وحرمانها ولذلك يتهم الاميركيون على الاوروبيين
 بقولهم انهم يقتصدون ما يقتصدونه في (جواربهم الصوفية) وهو مثل فرنسوي
 كناية عن ان غنى الشعب الفرنسي وارد من اقتصاد ابنائه المال القليل في
 (جوارب الصوف) ولعل الاصل في ذلك ان عجائزهم وفلاحهم كانوا يتخذون
 هذه (الجوارب) (الكلسات) خزائناً لما يقتصدونه . فضلاً عن ذلك فان
 اميركا امة عزيزة بين الامم فهي ترفع رأسها بانفة وكبرياء بين جميع شعوب
 الارض وحكومتها مهيبة نافذة الكلمة لم يجز عليها ذلك ولا نالها خفض عيش
 وقوتها البحرية معدودة ثانياً قوات الدول الكبرى اذ لا تتقدمها في ذلك امة
 غير الامة الانكليزية . أضف الى ذلك ان شعبها محكوم بشرائع منطبقة على

حاجاته ومع كون الحرية مطلقة فيها الى آخر حدودها في بعض الامور فان حكومتها تقيدتها في امور اخرى وتسلب الشعب شيئاً منها دون ان يحتج الشعب عليها لمعرفة انها انما تفعل ذلك لمنفعة لا لعدائها للحرية اذ لا عدو للحرية هنا ينبغي صرعاها واقامة حكومة مستبدة مطلقة مكانها كما هي الحال في فرنسا حيث تذهب نصف قوة الحكومة في اتقاء عدوان الملكيين والبونابرتيين والا كليريكيين على الحرية والجمهورية . ومع كون الامة الاميركية ولايات ولايات كل ولاية مستقلة بادارة شؤونها الداخلية استقلالاً يكاد يكون كاملاً والحرية فيها مطلقة للجرائد والجمعيات اطلاقاً كلياً وعدد المشعوذين الذين يستثيرون الشعب على رجال الفضل من أهل الحكم وغيرهم كثيرون وعدد الحيتان الهائلة الذين يبغون احتكار ثروة البلاد ومن فيها في شركات تمتص دماء العمال غير قليلين مع قلة الجنود الذين لا يتجاوزون ٦٦ الفاً في زمن السلم بجرأ وبراً وبينما جيش فرنسا العامل في زمن السلم يبلغ ٥٠٠ الف رجل - مع كل ذلك لا نسمع بفتنة او ثورة ولم تتمرّد ولاية وتستأثر بأمرها ولا نرى شبه اضطراب مما نراة ونسمع به في كل يوم في فنزويلا وهابتي وجمهوريات اميركا المتوسطة

فنتيجة كهذه النتيجة حصلت عليها الولايات المتحدة وانشأت شعباً نشيطاً حرّاً يرفع رأسه بكبرياء تحت قبة السماء وتهابه الاسود في غاباتها والحيتان في لجاتها وله جامعة ينفذها بالنفس والنفس وثروة تنثر ملايين الريالات في طريقه كما تنثر اوراق الخريف - جديرة بالاعجاب وان يُقال عن الامة التي نالتها دون مساعدة احد لها والحكومة التي انالتها ايها ولم تعد عليها انها امة عظمى وحكومة كبرى تحمي امامها الهام ويرفع اليها الاحترام هكذا يقول القائلون الذين ضلعمهم مع اميركا وكل واحد منا يحس بان هذا

القول حق من هذا الوجه . ولكن غيرهم ينظرون الى اميركا من وجه آخر
فصلناه فيما سبق من مقالاتنا ونرى ان هنا نقطة الخلاف التي تجب ازلتها .
ومتى قبضنا عليها امكنا ان نحلّ الاشكال ونجيب عن ذلك السؤال

لماذا يكره بعضهم اميركا وماذا
يكرهونه فيها

كثيرون منا يكرهون اميركا مع معيشتهم فيها ولا نتكلم هنا عن الذين
لا ينجحون فيها فهو لا معذورون في هذه الكراهة ولكننا نتكلم خصوصاً عن
الذين ينجحون فيها ويكرهونها وبالاخص عن المقيمين في المدن الكبرى كنيويورك
وشيكاغو وفيلادلفيا وغيرها . وبما اننا قد شعرنا شعور هو لاً مدة اقامتنا في
نيويورك فيمكننا ان نصف حالة نفوسهم بما شعرنا به في نفسنا بعد معيشتنا
في نيويورك

يفد أحدنا من الشرق على نيويورك وهو يظن انه منتقل الى بلاد الكمال
والجمال . فقد عاشنا جميعاً كثيرين من افاضل المرسلين الاميركان في سوريا
ومصر ورأينا فضلهم ودمائهم اخلاقهم وسمعنا دعواتهم الى الآداب والدين
والفضائل والاخاء البشري فحبل لنا ان اميركا هي وطن هذه الكمالات كلها
ولا شيء فيها مما يخالفها ويناقضها . ولكننا حين تطأ اقدامنا ارض نيويورك
مثلاً فماذا نرى ؟ اننا في بدء الامر ندهش بما نراه من ضخامة العمران وخطامة
البنيان ثم بعد الدهشة تأتي نوبة التأمل والامعان . وبعدهذا الامعان والتأمل
نصاب بدهشة اخرى غير تلك الدهشة وذلك لاننا نرى في نيويورك — عاصمة
اميركا التجارية — ما لم يكن في الحسبان . فقد تركنا الشعوب في الشرق
خرافاً يميزه صوفها ويستدره لبنها ويستبد بها حاكمها وغنيها والرئيس الروحي فيها
فوجدنا الشعب في اميركا تحت نير عبودية لاصحاب الاموال والروساء تختلف

عن عبودية الشعب الشرقي ولكن النتيجة واحدة وهي انين الشعب تحت عبث
القتيل . انا قلما رأينا في الشرق رجالاً بشوارب ضخمة وبنية قوية يستمعون
خبزهم دون حياء او يصطفون مئات امام قسيس يصلي في الشارع ويستعطي
لهم ابنا السبيل لا طعامهم واىوائهم ولكننا رأينا في نيويورك ذلك واكثر منه .
انا لم نر في الشرق نساء يترنحن في الاسواق سكرآ وينظرحن على بلاط
الشوارع معربرات ولكننا رأينا ذلك في نيويورك . انا لا نعد في سوريا كلها
تقريباً حانات وخارات بقدر ما نعد منها في مدينة نيويورك وحدها اذ في كل
زاوية شارع حانة — قاعدة مطردة لا تقبل استثناء . وبما ان جميع الشوارع
متقاطعة والزوايا كثيرة متقابلة فالحانات متقابلة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً
وهم يسمونها (صالون) وعشرات من البشر تزدهم في كل واحدة منها على
مشروبات قتالة وامزجة مختلفة يدخل شراب الوسكي فيها كلها تقريباً لانه
سلطان المشروبات في اميركا . والمضحك انه من المقرر إقفاها في يوم الاحد
ولكن اكثرها يبيع فيه الخمر سراً بل جهراً لان بعض الشرطة يفضون الطرف
واذا امسك احد الخفية (البوليس السري) صاحب حانة وهو يناول رجلاً
مسكراً من حانته فلا يقدر ان يقبض عليه ويقاضيه لان صاحب الحانة يمكنه
ان يدعي انه يهب ذلك المسكر هبةً ولا يبيعه يبعاً ولا تحق العقوبة على صاحب
الحانة الا اذا شوهد يقبض من الشارب ثمن ما شرب وهناك حيلة أغرب
وأعجب وهي ان بعض اماكن الخلاعة تدعى (ميوزيك هول) أي قاعات
موسيقية فتفتح في يوم الاحد وتباع فيها المسكرات جهراً بحجة ان طالها لا
يطلبها لذاتها بل يطلبها لياكل ولذلك يقدمون مع كأس المسكر التي تُتوضع امامك
قطعة من (الصندويج) او كسرة من الخبز واللبن وغني عن البيان انك تدفع
ثمنها فوق ثمن المسكر وان كنت لا تأكلها . ادخل في يوم أحد قهوة مرتين “

المشهورة في نيويورك وهي فرنسوية واطلب شراباً روحياً فيسألك الخادم للحل
 أي (صندويج) تريد لانه يبيعك المسكرات مع الصندويج ولا يبيعها بدونه .
 وما عدا هذا فانك ترى الفاحشة علنية في نيويورك والنساء الساقطات يملأن
 الشوارع من الشارع الرابع عشر الى ما فوق في داخل المدينة ونسبتن في بعض
 الشوارع في المساء الى الحرائر كنسبة ١٠ الى ٥ . ثم ماذا ترى ؟ ترى ارتخاء
 عظيماً في الاخلاق فان الرجال يستوقفون هؤلاء النساء او يجالسونهن في
 الاماكن العمومية والمطاعم كأنهم لا يأتون امرأ اداً . وبين هذا وذاك تسمع
 زئير المدينة زئيراً هائلاً وترى حركة دائمة يتدافع فيها الناس كأنهم في طراد
 والسابق السابق منهم الجواد . فهذا يصطدم بك ولا يلتفت نحوك . وذاك
 تسأله من اين الطريق فيطمطم ويرطن ويصرف وجهه عنك . وذلك يعض
 سيكاره ويصق امامك فرجاً اصابك رشاش هذا الطلّ القبيح . وغيره يعلو
 على الاوتوموبيل في مفترق الطريق بين زحام مركبات الترمواي وعربات النقل
 ويشتمك بطمطمانيته لانه اجتزت امامه سريعاً ولم تتركه يدوسك . وغيره
 نشوان رتحت الخمره جسمه ولسانه وقبعته يتعلق بك ويقول انه لم يأكل منذ
 يومين ولذلك يطلب (فيف سنس) أي خمسة سنتات ليأكل الخ الخ الخ .

فبعيشكم اخبرونا ماذا تكون تأثيرات ابن الشرق حين يرى هذه المدهشات
 كلها في اميركا وهو قادم ليرى فيها معجزات الآداب والمدينة قياساً على ما
 قرأه عن الاميركيين وما سمعه من ابناء اميركا في الشرق . هذا ناهيك عن
 خشونة المعاملات وغلظة الاساليب والاحاديث التي لا تسمع فيها وانت مارث
 في الشارع غير ذكر هندرد دولارس — ثوزند دولارس . ناشيونال بنك . ب . مرغن
 اند كومباني مضافاً اليها في الشتاء قرّ يقتل الحيوان والانسان وفي الصيف حرّ
 يذيب الشحم واللحم في الابدان . حتى اتنا كثيراً ما نظرنا في نوافذ منازل من

أحسن المنازل رجالاً بقميص القطن (الفلانلا) مكشوف في الصدر بارزين من النافذة وهم يقرأون الجرائد والناس في مركبات الترمواي والشوارع رجالاً ونساءً ينظرون اليهم دون مبالاة كأن فعلتهم هذه أمر اعتيادي

كل ما ذُكر وما لم يُذكر من أمثال هذه الامور التي لا يتوقع زائر اميركا ان يراها فيها تحمل ابن نيويورك وخاصة ابن الشرق فيها على ان يظن ان اميركا هي ما يراه في تلك الامور الشاذة والمناظر الثقيلة والامور التي تنفر منها الطباع السليمة. يظن ذلك وهو مهاجر ولا يخطر في باله ان الذين يراهم ويعاملهم ويحكم عليهم ذلك الحكم قد يكونون مهاجرين مثله تركوا الى انفسهم في وسط شديد عليهم فأشرف فيهم التأثير الذي رآه وكان سبب نفرتهم . فقد قيل في نيويورك (انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها) يعنون ان اكثر أهلها مهاجرون غرباء ولكن كل مهاجر غريب فيها لا يُعد غريباً لانه بين غرباء مثله . فاذا شئنا الحكم على مدينة احدى الامم يجب ان لا نتخذ موضوعاً لدرسنا المهاجرين اليها ومدنها الكبرى فقط فان من خصائص هذه المدن ان يجتمع فيها احط ما يكون وأرفع ما يكون . فاذا شاهدنا المنحط فيجب علينا ان ننكش عن الحكم قبل مشاهدة الرفيع ايضاً . ولو كان جميع شعب الولايات المتحدة كالجمهور الثقيل الذي مرّ وصفه آنفاً لما كانت اميركا اميركا ولما قدرت ان تحصل على النتيجة التي مرّ بسطها في الفقرة السابقة . وساجعلك تزور معي في مقالة تالية داخلية الولايات المتحدة حيث اريك شعباً غير الشعب الذي عرفته في نيويورك ونفرت جوانحك كلها منه . وسأريك منه اموراً تجعلك تحبه كما أحبته . ولعلك ترى في ما سيلي حلاً لتلك المسألة التي أشرنا اليها في مقدمة الكلام ونبحث معاً في حلها